مكونات الشّخصيـــــة في السيرة النبوية (دراسة مقارنة)

أ.عبدالسلام سالم محمد ــ قسم علم النفس ــ كلية الآداب – الجوش.
جامعة الزنتان

الملخّـــــــــص :

يهدف البحث إلـــى بيان أثـــر البيئة والوراثة في بناء الشخصية الإنسانيـــة من منظورالسنة الشريفة والنظريات التربوية المعاصرة، وذلك من خلال بيان أثـــر الوراثة، والبيئة في البناء الجسدي، و العقلي ، والنفســـي ، والسلوكي للإنسان في كل من الفكر التربوي والسنة النبوية الشريفة، وقد توصّل الباحث إلى أن البيئة والوراثة تتفاعلان وتسهمان في بناء الشخصية الإنسانية بجوانبها الجسمية، والعقلية ، والنفسية، والسلوكية ، وقد دلت على ذلك النصوص الشرعية والدراسات النفسية .

المقدمـــــــــــة :

الحمدلله الذي خلق الإنسان في أحســـن تقويم ، والصلاة والسلام على من أحسن توجيهه إلى الخير في الدنيا والآخرة ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

لقد كانت في العقود الماضية أغلب الأساسيات التي يركّز عليها المنظرون في علم النفس : الشخصية، والوراثة ، والبيئة ، وكيف تعمل الوراثة مع البيئة في المساهمة في بناء الإنسان ونموّه ، ومع مرور الوقت تغيّرت أشكال المناقشة والجدل ؛ بل وتغيّرت طبيعة الســـؤال المطروح ، حيث كان السؤال : ما سبب التغير في البناء ، هل الوراثة أم البيئة ؟ فكان أصحاب الاتجاه البيئي يفترضون أن عقل الإنسان صفحة بيضاء تُضاف إليه المعلومات من خلال الخبرة ، والتفاعل مع البيئة ، وأصحاب الاتجاه الوراثـــي يفترضون أن الوراثة أكثر قــوّة في تحديد خطوات النمو، وبناء الشخصية ، وفي القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين كان موضوع التساؤل هو : كم تشارك العوامل الوراثية في بناء الشخصية مقارنة بالعوامل البيئية ؟

ومن خلال الأساليب الإحصائية التي أجريت عام 1928 م توصلت إلى أن الوراثة تسهم بمعدل (83%) في القدرة العقلية ، وأما البيئة فتسهم بمعدل (17%)، كما تم التوصل عام 1935م إلى أن الوراثة تؤدّي دوراً أساسياً مقارنة بالبيئة ، بينما

ظل الباحثون يعتمدون في دراستهم على النتائج التي توصلت إليها دراسات في الولايات المتحدة، والتي أثبتت أن عامل البيئة أقوى في بناء الشخصية، وقدراتها، وبهذا فإن الجدل لم يستقر، مما أدّى إلى إعادة تركيب السؤال ليصبح : بأي طريقة تتفاعل الوراثة مع البيئة [1].

مشكلة الدراسة :

تعددت النظريات في تفسير أثــر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية ، واختلفت باختلاف منهجيتة أصحابها فثمة رأيٌ آخر يرى أن البيئة هي التي تؤثر في الشخصية، وهذا في ظل غياب الرؤية الإسلامية للموضوع .

تســـــاؤلات الدراسة :

ما أثر الوراثة ، والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية من منظور السنة النبوية والفكر التربوي الحديث ؟ ويتفرع من هذا السؤال سؤالين هما :

1- ما أثر الوراثة في بناء الشخصية الإنسانية في جوانبها الجسمية، والعقلية، والسلوكية، والنفسية من منظور السنة النبوية والفكر التربوي الحديث ؟

2- ما أثر البيئة في بناء الشخصية الإنسانية في جوانبها الجسمية، والعقلية، والسلوكية، والنفسية من منظور السنة النبوية والفكر التربوي الحديث ؟

أهمية الدراسة :

يرى الباحث أن أهمية الدراسة تتمثل في الآتي :

أولا : أن هناك عبئاً في نظر البعض إلى العوامل المؤثرة في الشخصية هل هي الوراثة أم البيئة وهذه الدراسة تحاول إزالة الغبش و إيضاح الصورة .

ثانياً : التركيز على الجانبين النفسي والشرعي معاً .

ثالثاً : الدراسة الحالية تُمثل دعوة للمقارنة بين معطيات علم النفس المعاصر والمعطيات الإسلامية وفتح مجالات جديدة للبحث العلمي.

رابعاً : الدّراسة تسهم في مساعدة الوالدين والمربين في تربية الأبناء وتبصيرهم بإمكانية تعديل سلوك الأبناء وفق معطيات البيئة.

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

ــ بيان مفهوم كل من : الوراثة، البيئة، الشخصية .

ــ بيان تأثير الوراثة في بناء الشخصية الإنسانية في جوانبها العقلية و الجسمية والنفسية و السلوكية من منظور السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر .

ـ بيان تأثير البيئة في بناء الشخصية الإنسانية في جوانبها العقلية والجسمية والنفسية ، والسلوكية من منظور السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر .

ــ بيان أوده التشابه والاختلاف في تأثير الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية بين السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر .

متغيرات الدراسة :

يرى الباحث أن هذه الدراسة تشتمل على نوعين من المتغيرات :

المتغيرات المستقلة وهي الوراثة و البيئة .

المتغيرات التابعة : وهي البناء الجسدي، والعقلي، والبناء النفسي، والبناء السلوكي [2]

الدراسات السابقة :

في حدود اطلاع الباحث وبعد مراجعة المكتبات المختصة لم نعثر على أيّة دراسة تحمل لعنوان أو المضمون ذاته في الدولة الليبية ، ولكن ثمة دراسات تتعلق ببعض جزئيات البحث منها .

ـ **نحو بناء نظريـــة إسلاميـــة في الشخصية** [3] : مسعد أحمد النجار ،1995 م جامعة اليرموك، وهدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الشخصية ومراحل تطورها والعوامل المؤثرة فيها، إلا أن الباحث لم يفصل في العوامل المؤثرة في الجوانب المختلفة للشخصية .

ـ **الأساس الفطري للتربية الإسلامية** [4] ،أحمد الدغشي ، 1995 م ، جامعة اليرموك، وهدفت الدراسة إلى بيان الإطار العام للأساس الفطري في التربية الإسلامية، وبيان علاقة كل من الوراثة والبيئة بالفطرة، وتلتقي مع الدراسة الحالية في علاقة الوراثة بالفطرة الإنسانية .

ـ **النمو الإنساني من منظور إسلامـــي** [5] : عماد الشرفين ، رسالة دكتوراه ، جامعة اليرموك 2007 م، ، وهدفت الدراسة إلى بيان معالم الرؤية الإسلامية للنمو الإنساني، وتلتقي مع الدراسة الحالية في الكشف عن العوامل المؤثرة في النمو، إلا أن الباحث لم يتوسع في بيان تأثير الوراثة و البيئة في الجوانب المختلفة للشخصية ولم يقارن رؤيته الإسلامية مع ما توصل إليه الفكر التربوي المعاصر .

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في دراسته المنهجية كتالي :

أولا : المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال :

جمع النصوص ذات العلاقة بموضوع الدراسة من القرآن الكريم، والسنة النبوية والرجوع إلى كتب التفسير، وشروح الحديث، لبيان معاني النصوص ، والرجوع إلى كتب التراث الإسلامي وانتقاء النصوص ذات العلاقة بالموضوع ، والرجوع إلى المؤلفات المعاصرة والاستعانة بها في تحديد معالم البحث .

الخاتمة، وتشمل أهم نتائج البحث .

المبحث الأول ـ المصطلحات

يحتوي البحث على مجموعة مصطلحات لابد من بيانها، وتوضيحها وهي :

أولا ـ الشخصيـــــة : لفظ لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية المطهرة، إلا أن هنالك ألفاظاً ومفردات تدل على هذا المصطلح كالنفس، والإنسان، والفرد، والمرء، والذات، وبهذا يندرج تحت هذا المصطلح كل ماورد في النصوص عن الإنسان من حيث خُلقه، وجبلته، ونشوؤه، وسلوكه،وخَلقة، وتعامله، وشعورهوه، وخياله، وفكره، ومعتقده [6] ، وأما في علم النفس فقد كثرت التعريفات ، وتعددت، وهذه الكثرة ناتجة عن تعدد جوانب الشخصية ومن هذه التعريفات :

تعريف فلمنج Fleming : الذي يرى أن الشخصية هي : " العادات والأعمال التي تؤثر في الآخرين [7] ،وتعريف وودور (Wood worth) وماركويس (Marquies): الذي يرى أن الشخصية هي : " الأسلوب العام لسلوك الفرد كما يظهر في عاداته التفكيرية، وتعبيراته، واتجاهاته، وميوله، وطريقتة،وسلوكه،وفلسفته، الشخصية في الحياة [8] "، وتعريف البورت (Allport) الذي يرى أن الشخصية هي : التنظيم الديناميكي في الفرد لجميع التكوينات الجسمية و النفسية، وهذا التنظيم هو الذي يحدد الآساليب الفردية التي يتوافق بها الشخص مع بيئته [9] .

إن المتأمل في التعرفيات السابقة للشخصية يخلص إلى النتائج الآتية :

1ـ الشخصية مجموعة من الصفات المتداخلة بعضها مع بعض .

2ـ الشخصية تجعل لكل فرد ذاتيته، واستقلاله عن الآخر، وهي ثابتة إلى حد ما .

3ـ الشخصية تتفاعل مع البيئة،وتؤثر فيها .

ثانياَ ـ الوراثـــــة : الوراثـــة هي الطريقة التي تنتقل بها الصيفات، والخصائص من الأصول إلى الفروع ونسبب تشابه الأحفاد، والأبناء بالآباء، والأجداد، أي : " جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي من اللحظة التي تتم فيها عملية تلقيح الخلية الأنثوية بالخلية الذكرية [10] .

ثالثاَ ـ البيئـــــة : البيئة هي جميع العوامل الخارجية التي تؤثر تأثيراَ مباشراَ، أو غير مباشرا منذ لحظة الإخصاب في رحم المرأة، وتشمل العوامل المادية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية [11] ، ويمكن تقسيم البيئة إلى قسمين :

البيئة الداخلية (رحم الأم) : حيث يتأثر الجنين في هذه المرحلة بعوامل عدة منها، الغذاء، والحالة الانفعالية، والنفسية، والأمراض التي تعتري الأم [12] .

البيئة الخارجيـــة : وتشمل البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية .

أ ـ البيئة الطبيعية : وتشمل كل ما يحيط بالفرد من ظروف مادية كالحرارة، والهواء، والضوء، والتضاريس .

ب ـ البيئة الاجتماعية : وتشمل الأسرة، وكل مايحيط بالأسرة من علاقات

المبحث الثاني ـ أثر الوراثة في بناء الشخصية في السنة النبوية والفكر المعاصر

ويشتمل هذا المبحث على سؤالين :

الأول : ما أثر الوراثة في بناء الشخصية في الفكر التربوي المعاصر .

الثاني : ما أثر الوراثة في بناء الشخصية في السنة النبوية .

السؤال الأول : أثر الوراثة في بناء الشخصية في الفكر التربوي المعاصر :

يناقش هذا السؤال أثر الوراثة في بناء الشخصية من الجوانب الجسمية، والعقلية، والنفسية، والسلوكية من منظور الدراسات النفسية .

أ ـ أثـــر الوراثة في البناء الجسدي للشخصيـة : كما أثبتت الدراسات أن الوراثة مسؤولة عن بعض الأمراض الجسمية السائدة، أو الأمراض الجسمية المنتجة، والأمراض المرتبطة بكروموسوم الجنس، مثل مرض ضمور العضلات المعروف باسم " دودشات "، وهذا المرض يصيب الأطفال دون سن الخامسة، ويؤدي إلى ضمور العضلات، وموت المريض في العشرينات من العمر بسبب فشل التنفس،

وضمور عضلات الرئة، وهو ناتج عن أب طبيعي، وام حاملة لجين المرض، كما ثبتت أن مرض الكساح له علاقة مباشرة بالجينات الوراثية [13] .

ب ـ أثر الوراثة في البناء العقلي للشخصية : ثبتت لدى علماء الوراثة أن الوراثة هي العامل الرئيسي المحدد للسيمات الجسمية من قبل الجنس، والطول، والوزن، ولون البشرة، كما ثبتت أن عدداً من أوجه الشذوذ الجسمي، أو الطبي متصلة اتصالاً مباشراً في الجينات، إلا أنه عند الحديث عن وراثة الصيفات، أو الخصائص العقلية مثل الذكاء، فإن الخلاف يثور، وندلل على الخلاف بالدراسات التي أجراها هرندون. وأثبتت فيها أثر الوراثة في تحديد مستوى الذكاء، والذي يمتد من(50% - 75%) وهذه النتيجة تؤكد إلى حد كبير نتائج البحث الذي قام به بيركز، حيث بينت أن أثر الوراثة في تحديد نسبة الذكاء يصل إلى (75%)، ودراسات العالم الأمريكي آثر جنسن (Jensen) الذي يعتقد أن حوالي (80%) من الاختلافات بين الناس في الذكاء يمكن تفســـيرها بالفروق الوراثية المباشرة بين هؤلاء الناس [14]، واستدل من يدعو إلى أثر البيئة في الذكاء ، وأنها تلعب دوراً مهماً في إعاقة نمو الذكاء، والقدرات العقلية، بحالة عزل الطفل عن المجتمع الإنساني، كما في حالة الأطفال الذئاب [15] . ، أو حالة الجماعات المنعزلة التي تعيش في القرى النائية، وأكدت أبحاث جيزل ولورد التي أجرياها على أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية في البيئات الاجتماعية، والاقتصادية العليا أن هؤلاء يتكلمون أسرع من أطفال البيئات الاجتماعية، والاقتصادية الدنيا، وهكذا يثبت أثر البيئة في القدرات العقلية ، وظهر في الآونة الأخيرة رأي لبعض العلماء والذي يعد الذكاء قدرة كامنة تتحدد أصلاً نتيجة التكوين الوراثي للفرد، وأن للظروف البيئية تأثيرها في الذكاء ونموه، فالبيئة تتيح لهذه القدرة فرصة النمو والعمل، ومن الممكن للبيئة أن تعمل على تحسين الذكاء، وتطويره ويدل على ذلك الدراسة التي قام بها "كيفر" على (16) شاباً في إحدى مؤسسات ضعاف العقول، والتي تتراوح أعمارهم بين (15-18 سنة) عند بدء التجربة، وكان متوسط ذكائهم (66.3%) حسب اختبار بنيه، ومن ثم أعطي هؤلاء دروساً خاصة تهدف إلى إثارة نشاطهم العقلي، وفي نهاية التجربة كان متوسط ذكاء هذه المجموعة (76.4%) بزيادة قدرها (10.1% درجة)[16].

أثــر الوراثة في البناء النفسي ، والسلوكي للشخصيـــة : يستدل بأثر الوراثة في بناء الشخصية من الجانب النفسي، والسلوكي في علم النفس بالدراسات التي أجريت على المنحرفين نفسياً، حيث قدمت أدلة على وجود معطيات وراثية عندهم ، ومن هذه الأدلة وجود خلل بيولوجي فسيولوجي عند بعض المنحرفين نفسياً، حيث يتم توريث هذا الخلل من الآباء إلى الأبناء، بالإضافة إلى زيادة معدلات الاتفاق في الانحرافات النفسية عند التوائم المتماثلين أكثر من التوائم غير المتماثلين، وأخيراً فإن انتشار الانحرافات النفسية في اسر المنحرفين نفسياً أكثر من الأسر التي لا يوجد فيها انحراف، فإحدى الدراسات تشير إلى "أن (10%) من أبناء الأسر والذين يعانون من مرض الفصام كان أحد الوالدين يعاني من مرض الفصام، وترتفع هذه النسبة إلى (50%) من الأبناء إذا كان الوالدان فصاميين، ووجد أن معدلات الاتفاق بالإصابة بمرض الفصام عند التوائم المتشابهة تتراوح بين (6-86%)، بمتوسط قدره (50%)، وبين صفر و(19%) بمتوسط قدره (12%) عند التوائم غير المتشابهة [17] .

أثر الوراثة في بناء الشخصية في السنة النبوية : يناقش هذا التســاؤل أثر الوراثة في بناء الشخصية من الجوانب الجسمية، والعقلية، والنفسية، والسلوكية من منظور التربية الإسلامية.

التســـاؤل الأول ـ أثر الوراثة في البناء الجسمي للشخصية:

ورد في السنة النبوية المطهرة العديد من الأحاديث التي تدل على أن الشخصية، أو البناء الجسمي للشخص يتأثر بصفات الآباء، والأجداد، فمن ذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – **" جَاءَهُ أَعْرَابِـــيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ "** [18] ، وورد في حديث آخر تأكيد لانتقال الصفات الجسدية من الآباء إلى الأبناء، فعن الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا تَلاَعَنَّا، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : **اقْبِضْهَا إِلَيْكَ حَتَّى تَلِدَ، فَإِنْ تَلِدْهُ أَحْمَرَ مِثْلَ وَحَرَةٍ، فَهُوَ لِأَبِيهِ عُوَيْمِرٍ الَّذِي انْتَفَى مِنْهُ، وَإِنْ تَلِدْهُ أَسْوَدَ اللِّسَانِ وَالشَّـــعْرِ، فَهُوَ لِابْنِ السَّحْمَاءِ ، الرَّجُلِ الَّذِي يَرْمِي بِهِ، قَالَ عُوَيْمِرٌ: فَلَمَّا وَلَدَتْهُ أَتَيْتُ بِهِ، فَاسْتَقْبَلَنِي مِثْلَ الْفَرْوَةِ السَّوْدَاءِ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِلِحْيَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَنِي لِسَانُهُ مِثْلُ التَّمْرَةِ، فَقُلْتُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ** [19]، فالحديث الشريف يؤكد انتقال الصفات الجسدية من

الآباء إلى الأبناء، فالمرأة ولدت غلاماً بصفات مشابهة للرجل الذي اتهمت به، وثمة أحاديث تُشـــير إلى أن الولد يتأثر بشكل الأم، وقد يشبه أعمامه، أو أخواله، ويدل على ذلك ما روته أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: **جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: " إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ فَلْتَغْتَسِلْ ". قَالَتْ: قُلْتُ: فَضَحْتِ النِّسَاءَ، وَهَلْ تَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا إِذًا** (20) ، وموطن الاستدلال في الحديث كلمة "فبم يشبهها ولدها" وهي كلمة عامة، أي أن الولد يشبه أمه في السمات الجسدية الظاهرة من طول، وقصر، وشكل، وقد يفهم من هذه العبارة الصفات المزاجية، والخصائص العقلية، والنفسية (21) ، وقد لا تظهر الصفات الجسدية إلا للخبراء، ومن ذلك قصة مجزر المدلجي، فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: **دَخَلَ عَلَيَّ قَائِفٌ، وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاهِدٌ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. قَالَ : فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْجَبَهُ، فَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ** (22)، فالحديث الشريف يدل على تأثير الوراثة في صفات جسدية غير واضحة للناس، فكما يذكر أن هناك اختلافاً في اللون بين أسامة، وزيد - رضي الله عنهما -؛ ولكن القائف مجزر المدلجي عرف العلاقة بينهما من خلال النظر إلى القدمين (23) .

التســاؤل الثانـــــي ـ أثر الوراثة في البناء العقلي والنفسي والسلوكي للشخصية :

مفهوم الفطرة الإنسانيـــة: اختلف العلماء في معنى الفطرة ولكنهم جميعاً يؤكدون أنها أمر فيه صلاح الإنسانية، وخيرها (24) ، ويدل على هذا أن القرآن الكريم نسب الفطرة إلى الله – تعالى- ، وهذا يعني أنها أمر محمود، وفي القرآن الكريم تأتي نسبة الشيء المحمود إلى الله تعالى، وإن كان خالقاً، ورباً لكل شيء سبحانه وتعالى، ومن تعريفات الفطرة:" إنها النظام الذي أوجــده الله في كل مخلوق، والفِطرة التي تخص الإنسان هي ما خلقه عليه جسداً، وعقلاً، فمشي الإنسان فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها، والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية.... ، وقيل: هي الميل المركوز في أصل الخِلقة لتفضيل الإسلام، والأخذ به، وليس منها مجرد ولادة الطفل على خلقه خالية، لا إيمان بها ولا كفر، ولا معرفة، ولا إنكار كالصفحة البيضاء (25)، وقيل : " بصـــيرة ثابتة في جوهرها يولد المرء مُــزوداً بها لتنزع به نحو الخير في صورته الكلية المجملة

توحيد الله ، وتمثل في جوانبها الروحية، والعقلية، والنفسية نظاماً متكامل الحلقات [26]، وبناءً عليه يرى الباحث أن للفطرة مفهومين، مفهوماً خاصاً، وهو التوحيد، ومفهوماً عاماً وهو الخصائص والصفات التي خلق الله الناس عليها وتشمل الدوافع الفطرية، والاستعدادات العقلية، والنفسية، والأخلاقية المزود بها، وظهور التساؤلات عن الكون، والحياة، والإنسان، واتفاق عقول الناس، والارتياح لما يعد معروفاً، والنفور مما يعد منكراً، وفيما يلي عرض للمجموعتين.

المجموعـــة الأولـــى : عَـــنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: **جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ الْمَرْأَةِ تَـرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَـرَى الرَّجُلُ؟ فَقَالَ : " إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ فَلْتَغْتَسِلْ " ، قَالَتْ : قُلْتُ: فَضَحْتِ النِّسَاءَ، وَهَلْ تَحْتَلِمُ الْمَـرْأَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا إِذًا"**[27] ، وموطن الاستدلال في الحديث الشريف " فبم يشبهها ولدها"، وهي كلمة عامة تدل على أن الولد قد يشبه أمه في السمات الجسدية، والمزاجية ، والخصائص العقلية، والنفسية ، وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: **يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ أَوْ أَبْصَرَتِ الْمَاءَ؟ فَقَالَ : " نَعَمْ " فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: تَرِبَتْ يَدَاكِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " دَعِيهَا وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَعْمَامَهُ "**[28] ، وموطن الاستدلال في الحديث الشريف كلمة "الشبه" الذي قد يكون للأعمام، أو الأخوال ، قوله ﷺ:" **تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، ، فإن العرق دساس** " . وكلمة العرق تعني "جيناً" في علم الوراثة [29]، وقوله ﷺ :" **تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ** [30] وما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لبني السائب وقد اعتادوا الزواج بقريباتهم: "مالي أراكم يا بني السائب قد ضويتم (ضعفتم، وهزلتم)، غربوا النكاح لا تضووا[31] .

يقول علماء الوراثة : " إن التزواج بين الأقارب من الدرجـــة الأولى ينقل الأخطاء في المورثات أو الضعف، أو الأمراض، أو العاهات إلى الأجيال بنسبة خمسين بالمئة، والزواج من الأقارب من الدرجة الثانية بنسبة اثنى عشر بالمئة، ومن الدرجة الثالثة بنسبة ستة بالمئة [32] .

المجموعـــة الثانيـــة : النصوص التي قد يفهم منها تأثير الوراثة ، وفي حقيقتها لا تدل على ذلك: قوله - تعالى - :﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ **[آل عمران: 33-34].** يستدل بهذه الآية على إثبات تأثير الوراثة في الصفات المذكـــورة العقلية، والنفسية، والسلوكية، وفي حقيقتها لا تدل على أثر الوراثة في الصفات، فقد كان من أبناء آدم عليه السلام الكافر، وكذلك من أبناء نوح عليه السلام، ولو كانت تعني الوراثة لكان جميع الخلق موحدين، لأن الذرية تعود إلى آدم، فالآية تدل على بيان من اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحمل رسالته، فهذه الذرية بعضها من بعض، وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب (33) ، وقوله-تعالى-: ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ **[مريم: 27-28]** ، يُستدل بالآية الكريمة على أثر الوراثة في الصفات الخلقية، والآية ليس فيها دليل على توارث الصفات، بل إن فيها ما يدل على بيئة صالحة أثرت في السيدة مريم - عليها السلام ، وقوله – تعالى - : ﴿ **وَقَالَ نُـــوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ **[نوح: 26-27]** ، فالآية الكريمة لا تدل على أن الإنسان يولد كافراً بالوراثة، والكفر صفة عقلية، ونفسية، وسلوكية وإنما تدل على أن الأفراد يولدون في بيئة الكفار التي توصي بالكفر للناشئة الصغار، لذا ينشؤون وهم كفار (34) ، قوله عليه السلام:" **ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا**"(35)، فالحديث الشريف لا يدل على الوراثة؛ وإنما تحفيز لأن يكونوا كما كان أبوهم إسماعيل عليه السلام رامياً، ومما يدل على فطرية السلوك الأخلاقي في الإنسان قول النبي ﷺ للأشج عبد القيس: " **إِنَّ فِيكَ لَخَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ مِنْكَ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، قُلْتُ: فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يَرْضَاهُمَا** (36) .

الإســـلام يقرر عدم خضوع السلوك الإنساني العقلي، والنفسي، والأخلاقي عموماً للوراثة، فالسلوك هو ثمرة، ونتيجة الفهم الواعي، والعقل الراجح، مع التأكيد على ما ورد سابقاً من أن الإنسان مزود باستعدادات كامنة فيه، كما قرر من القرآن الكريم انعدام أثر الوراثة المطلق في السلوك، فضرب لنا عدداً من الأمثلة، منها قصة نوح عليه السلام وابنه الكافر الذي وصفه الحق سبحانه بأنه ليس من أهل نوح، بل الأولى أن يعلن

براءته منه : ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** [سورة هود: 46] فلو كان للوراثة الدور الحاسم لكان ابن نوح من الذين آمنوا مع نوح عليه السلام ، فالنصوص الشرعية تقرر عدم خضوع السلوك والأخلاقيات عموماً للوراثة.

المبحث الثالث ـ أثر البيئة في بناء الشخصية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصـــر:

المطلب الأول ـ أثـــر البيئة في بناء الشخصية في الفكر التربوي المعاصـــر:

أصحاب هذا التوجه يعارضون الرأي القائل بأن الشخصية تحدد بالوراثة ، ووجهة نظرهم تذهب إلى أن الإنسان هو نتاج البيئة، فكل مجتمع يطبع نفسه على شخصية أفراده، فغالبية من يعيشون في المجتمع تتجسد في شخصياتهم ما يكون سائداً في المجتمع من دوافع، وقيم، وأساليب تفكير، فالآسيوي، والأمريكي، والأوروبي يميل إلى أن تكون معتقداته، ونظـــم سلوكه تشابه نظرائه في المجتمع (37) .

أثـــر البيئة في البناء الجسمي للشخصية : ومن العناصر البيئية المؤثـرة في الجانب الجسمي للشخص – الأمراض- التي قد يكون تأثيرها مضاعفاً أو ينتج عنها أحياناً عاهات دائمة، كالعمى، والصمم، أو اضطراب الشخصية، والتي تؤثر بمجموعها في شخصية الإنسان، أما إذا أصيبت الأم الحامل بمرض؛ فإن الأمراض تؤثر في عملية التمثيل الغذائي ، والتركيب الكيميائي للأم الذي يؤثر في نمو الجنين، وقد وجد أن الفيروس الخاص بالحصبة الألمانية إذا أصاب الحامل فإنه يؤدي إلى العديد من التشوهات الخلقية في الجنين، كصغر الدماغ، والتخلف العقلي، وتخلف النمو عموماً، كصغر العينين، وعيوب خلقية في تكوين القلب، والصمم، وتضخم الطحال، والكبد، وعيوب خلقية في العظام .

أثر البيئة في البناء العقلي للشخصيـــة : يثبت علماء النفس أثـــر البيئة في الجانب العقلي، والجسدي بنظرة سريعة إلى الأطفال المتوحشين الذين عثر عليهم الصيادون في الغابات، فقد ظهر أنهم تأثروا بالبيئة البدائية التي عاشوا فيها، وظهرت لديهم قدرات تتلاءم مع تلك البيئة كالقوة البدنية، وحدة النظر، وسرعة الجري على أربع، وفي المقابل نجد الأطفال العاديين الذين نشؤوا في المجتمع الإنساني العادي يملكون صفات، وقدرات تختلف عن سابقتها، كالمشي، والقدرة اللغوية، والتفكير(38) .

أثر البيئة في البناء النفسي، والسلوكي للشخصية :

ـ الخبرات المؤلمة في البيئة التي تعرض لها الأطفال، وهم صغار أثرت في سلوكهم، مما جعلهم منحرفين، وهذا بفعل العوامل البيئية، فقد وجد أن المراهقين المهيئين للقلق تعرضوا للحرمان أكثر من أقرانهم، ووجد أن عدم انسجام الوالدين في حياتهما يؤثر في الأطفال من الناحية النفسية، والسلوكية.

ـ الأفراد الذين يعيشون في أسر منحرفة يميلون إلى الانحراف أكثر من غيرهم.

ـ انتشار الانحرافات النفسية، والسلوكية تتأثر بعوامل اجتماعية، واقتصادية

المطلب الثاني ــ أثر البيئة في بناء الشخصية في الســنة النبوية :

يناقش هذا المطلب دور البيئة في بناء الشخصية في التربية الإسلامية، وهذا يتطلب الحديث عن بعض عناصر البيئة، أو البيئات المباشرة، ودورها في الجوانب الجسمية، والعقلية، والنفسية، والسلوكية.

أثر البيئة في البناء الجسدي للشخصية : نقص الفيتامينات، أو انعدام توافرها في الغذاء، يؤدي إلى اختلال في عمليات استقلاب الغذاء داخل الجسم (39)، أما حرمة بعض أنواع الطعام، والشراب فلضررها البالغ في النمو البناء الجسدي، يقول سبحانه وتعالى- : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **[البقرة:173]**. فلحم الخنزير يسبب للإنسان العديد من الأمراض التي تؤثر في البناء الجسمي السليم للإنسان، والخمور كذلك تؤثر في البناء الجسمي للإنسان.

أثر البيئة في البناء العقلي للشخصية: لقد أشاد الإسلام بالعلم والعلماء ودعا إلى طلب العلم، فهو دين يقوم على احترام العقل، يقول- سبحانه وتعالى - : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:11]**، ويقول ﷺ : **"طلب العلم فريضة على كل مسلم** (40)، كما أن الإسلام دعا إلى البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب، يقول سبحانه- : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ [الإسراء:36].**

إن المتأمل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يلحظ اهتماماً واضحاً بالبناء العقلي للإنسان، فقد بيّنا الخطوط العريضة التي يجب الالتزام بها من أجل أن يكون البناء

العقلي للإنسان سليماً، فنلحظ دعوة القرآن الكريم إلى استخدام أساليب متعددة في التعليم، كأسلوب القصة، والتكرار، وضرب الأمثال، والسؤال، والجواب، وبيان أن الانتباه عامل مهم في التعلم، واكتساب المعرفة، وضرورة توزيع التعلم على فترات؛ لأهميته في اكتساب العلوم، يقول - سبحانه وتعالى- : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾** [الفرقان: 32].

أثر البيئة في البناء النفسي والسلوكي للشخصية: أشارت النصوص إلى تأثير البيئة في البناء النفسي، والسلوكي للإنسان، ومن هذه البيئات التي تؤثر البيئة الجغرافية، والاجتماعية. يقول سبحانه وتعالى: الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة: 97]، فالآية الكريمة تقرر قاعدة كلية عن طبيعة الأعراب الذين يسكنون بيئة ريفية

المطلب الثالث ـ أثر البيئة في بناء الشخصية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر.

أولآ ــ أثـــر البيئة في بناء الشخصيـــــة في الفكر التربوي المعاصـــــر: أصحاب هذا التوجه يعارضون الرأي القائل بأن الشخصية تحدد بالوراثة، ووجهة نظرهم تذهب إلى أن الإنسان هو نتاج البيئة، فكل مجتمع يطبع نفسه على شخصية أفراده، فغالبية من يعيشون في المجتمع تتجسد في شخصياتهم ما يكون سائداً في المجتمع من دوافع، وقيم، وأساليب تفكير، فالآسيوي، والأمريكي، والأوروبي يميل إلى أن تكون معتقداته، ونظم سلوكه تشابه نظرائه في المجتمع (41) .

أثر البيئة في البناء العقلي للشخصية : يثبت علماء النفس أثر البيئة في الجانب العقلي، والجسدي بنظرة سريعة إلى الأطفال المتوحشين الذين عثر عليهم الصيادون في الغابات، فقد ظهر أنهم تأثروا بالبيئة البدائية التي عاشوا فيها، وظهرت لديهم قدرات تتلاءم مع تلك البيئة كالقوة البدنية، وحدة النظر، وسرعة الجري على أربع، وفي المقابل نجد الأطفال العاديين الذين نشؤوا في المجتمع الإنساني العادي يملكون صفات، وقدرات تختلف عن سابقتها، كالمشي، والقدرة اللغوية، والتفكير.

أثر البيئة في البناء النفسي، والسلوكي للشخصية:

قام العديد من العلماء بدراسات تبين أو تؤيد إسهام البيئة في الانحرافات النفسية والسلوكية وفي ضوء هذه الدراسات وجد أن .

ـ الخبرات المؤلمة في البيئة التي تعـرض لها الأطفال، وهم صغار أثرت في

سلوكهم، مما جعلهم منحرفين، وهذا بفعل العوامل البيئية، فقد وجد أن المراهقين المهيئين للقلق تعرضوا للحرمان أكثر من أقرانهم، ووجد أن عدم انسجام الوالدين في حياتهما يؤثر في الأطفال من الناحية النفسية، والسلوكية.

ــ الأفراد الذين يعيشون في أسر منحرفة يميلون إلى الانحراف أكثر من غيرهم.

ــ انتشار الانحرافات النفسية، والسلوكية تتأثر بعوامل اجتماعية، واقتصادية، فقد تبين أن الانحرافات ترتفع في فترات الركود الاقتصادي، وتقل في فترات الازدهار، وترتفع عند الملحدين، والعاطلين عن العمل، وغير المتزوجين، وتنخفض عند المتدينين، والمتزوجين، والناجحين في أعمالهم.

أثر البيئة في بناء الشخصية في السنة النبوية : يناقش هذا المطلب دور البيئة في بناء الشخصية في التربية الإسلامية، وهذا يتطلب الحديث عن بعض عناصر البيئة، أو البيئات المباشرة، ودورها في الجوانب الجسمية، والعقلية، والنفسية، والسلوكية.

أثر البيئة في البناء الجسدي للشخصية: من العناصر البيئية المؤثرة في البناء الجسدي للإنسان الغذاء، وهو مادة تعمل على بناء الشخصية بجانبيها العقلي، والجسمي، ونقص الفيتامينات، أو انعدام توافرها في الغذاء، يؤدي إلى اختلال في عمليات استقلاب الغذاء داخل الجسم (42) ، أما حرمة بعض أنواع الطعام، والشراب فلضررها البالغ في النمو البناء الجسدي، يقول - سبحانه وتعالى- :﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [البقرة:173]. فلحم الخنزير يسبب للإنسان العديد من الأمراض التي تؤثر في البناء الجسمي السليم للإنسان، والخمور كذلك تؤثر في البناء الجسمي للإنسان، فتحدث مشكلات منها، انخفاض درجة حرارة الجسم، وانخفاض نسبة السكر الذي قد يسبب العمى المفاجئ للإنسان، وقد يصاحب شرب الخمـــر سوء تغذية، وعدة أمراض تؤثر في البناء الجسمي للإنسان.

أثـــــر البيئة في البناء العقلي للشخصية : لقد أشاد الإسلام بالعلم والعلماء ودعا إلى طلب العلم، فهو دين يقوم على احترام العقل، يقول - سبحانه وتعالى- : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّـــحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [المجادلة:11]، ويقول ﷺ : **" طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"** (43) . ، كما أن الإسلام دعا إلى البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب، يقول سبحانه: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ**

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا ﴾ [الإســـراء:36].

إن المتأمل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يلحظ اهتماماً واضحاً بالبناء العقلي للإنسان، فقد بيّنا الخطوط العريضة التي يجب الالتزام بها من أجل أن يكون البناء العقلي للإنسان سليماً، فنلحظ دعوة القرآن الكريم إلى استخدام أساليب متعددة في التعليم، كأسلوب القصة، والتكرار، وضرب الأمثال، والسؤال، والجواب، وبيان أن الانتباه عامل مهم في التعلم، واكتساب المعرفة، وضرورة توزيع التعلم على فترات؛ لأهميته في اكتساب العلوم، يقول - سبحانه وتعالى- : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾ [الفرقان: 32].**

ويخلص الباحث إلى أن البناء العقلي للإنسان في التربية الإسلامية يقوم على تحرير العقل من القيود، والخرافات، والعمل على طلب الدليل والبرهان. يقول سبحانـــه : ﴿ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:111]**، ودعوة العقل إلى الابتعاد عن الظن في استنتاج الحقائق" ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾[النساء: 157] .

أثـــر البيئة في البناء النفســي والسلوكي للشخصية : أشارت النصوص إلى تأثير البيئة في البناء النفسي، والسلوكي للإنسان، ومن هذه البيئات التي تؤثر البيئة الجغرافية، والاجتماعية. يقول - سبحانه وتعالى- : ﴿ **الأَعْـــرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 97]**، فالآية الكريمة تقرر قاعدة كلية عن طبيعة الأعراب الذين يسكنون بيئة جغرافية تختلف عن أهل الحضر، ويقول- صلى الله عليه وسلم - مبيناً أن الإنسان يتأثر بصديقه بكل شيء:" **الرَّجُـــلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** " (44) .

خلاصـــــــــة البحث:

ـ ثمة دور للبيئة في تحديد الصفات الجسمية للفرد، فتناول الأم لبعض العقاقير يجعلها تلد طفلاً فيه تشوهات خلقية، وعدم تنوع الغذاء يضعف البناء الجسدي للإنسان.

ـ ثمة دور للبيئة في تحديد الصفات، والقدرات، فالتدريب والتعليم لهما أثر بالغ في زيادة، أو ارتفاع نسبة الذكاء، حيث دلت على ذلك الدراسات، وتؤدي البيئة دوراً مهماً في تهيئة عوامل الانحرافات النفسية، والسلوكية.

ـ الســـنة النبوية اهتمت اهتماماً واضحاً بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان، كما دعا إلى اجتناب البيئات الفاسدة، والعمل على إصلاحها قدر المستطاع، لما لها من تأثير بالغ الأهمية في شخصية الإنسان

ـ القرآن الكريم يقرر عدم خضوع السلوك لعوامل البيئة مطلقاً، ويدل على هذا حال امرأة فرعون في قوله - تعالى- : ﴿ **وَضَـــرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [التحريم: 11] التي هي نموذج في التجرد لله - تعالى - من كل المؤثرات البيئية، وبهذا يعلي الإسلام من قيمة الفهم والعقل.

ـ النصوص تشير إشارات واضحة إلى تأثير البيئات الأسرية، والجغرافية، والاجتماعية، والتعليمية في البناء الجسمي، والسلوكي، والعقلي، والنفسي للإنسان.

الخاتمة:

نتائج الدراسة

أولاً ـ تتفق الدراسات النفسية مع التربية الإسلامية في أن البناء الجسدي للشخصية الإنسانية يتحدد بشكل أكبر بفعل عوامل الوراثة، كما يمكن للعوامل البيئية أن تؤثر في البناء الجسدي للإنسان.

ثانياً ـ الدراسات النفسية الأولى أخذت منحىً متطرفاً لإثبات تأثير الوراثة، أو البيئة في البناء العقلي، والنفسي، والسلوكي للإنسان، والدراسات الحديثة أخذت منحىً وسطياً لإثبات تفاعل الوراثة مع البيئة، لتشكيل الشخصية الإنسانية، النصوص الشرعية دلت على أن الإنسان يولد مزوداً بالسمات، والخصائص التي لها دور في بناء الشخصية الإنسانية، وهذه السمات تظهر، أو تختفي من خلال التنشئة الاجتماعية، وهذا ما دلت عليه الدراسات النفسية الحديثة مع الإشارة إلى أن النصوص الشرعية التي يستدل بها على توارث الصفات العقلية، والنفسية، والخلقية هي نصوص عامة.

ثالثاً ـ الإسلام يقرر عدم خضوع السلوك الإنساني عموماً لعوامل الوراثة والبيئة، وبهذا يعلي الإســـلام من قيمة العقل والفهم.

رابعاً ـ الإسلام يقــرر أن الفرد يولد على الفطرة، أي : يولد ويتمتع باستعدادات بيولوجية وراثية كامنة لا تظهر إلا إذا توافرت الظروف البيئية المناسبة، فالتفاعل بين المعطيات الوراثية، والمؤثرات البيئية يؤثر في تشكيل الشخصية.

خامساً ـ أولى الإسلام البيئة التي يعيش فيها الإنسان اهتماماً بالغاً؛ لتأثيرها الواضح في

بنائه الجسمي، والعقلي، والخلقي، والنفسي.

التوصيـــــات:

توصي الدراسة بالعمل على تبني موضوعات بحثية تسهم في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ويكون محورها المقارنة بين المعطيات الشرعية ومعطيات علم النفس.

الهوامـــــــــــش :

1- Tomas Murray. (1979). Comparing theories of Child Development. Wadsworth. Publishing, Ince, Belbont, California. P. 32-40

2- في البحوث التربوية عادة ما يشار على المتغير الذي يعتقد بأنه يؤثر في النتائج متغيراً مستقلاً، والمتغير الذي يعتقد بأنه يتأثر ببعض المعالجات متغير تابع، انظر: عبد الله الكيلاني، ونضال الشريفين، مدخل إلى البحث في العلوم التربوية والاجتماعية، عمان، دار المسيرة، ط2، 2007م، ص 44-49.

3- مسعد النجار، نحو بناء نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية، 1995م.

4- أحمد الدغشي، الأساس الفطري للتربية الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 1995م.

5- عماد الشريفين، النمو الإنساني من منظور إسلامي، رسالة دكتوراه ، غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 2007م.

6 - محمد خليل يوسف، الوراثة وأمراض الإنسان، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 1994م.

7 - كمال إبراهيم مرسي، البيئة والوراثة وأثرها في الانحرافات النفسية والسلوكية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 2000م.

8- شادية التل، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، اربد، دار الكتاب، 2006م.

9- سيد الطواب، النمو الإنساني، أسسه وتطبيقاته، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م.

10- محمد السيد عبد الرحمن، علم الأمراض النفسية والعقلية، القاهرة، دار قباء للطباعة والتوزيع، 2000م

.

11- المرجع السابق 1970 , ص 11

12- المرجع السابق ، 1970 م ، ص 40

13- كامل عويضة. علم النفس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م، ص 8.

14 - هشام خوجلي، علم نفس النمو، جدة، السعودية، الدار السعودية، ط1، 2001م، ص 275.

15- شادية التل. علم النفس التربوي في الإسلام، عمان، دار النفائس، ط1، 2005م، ص 96.

16- محمد خليل يوسف. الوراثة وأمراض الإنسان، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 1994م، ص 6-7.

17- شفيق علاونة. سيكولوجية التطور الإنساني، عمان، دار المسيرة، ط1، 2004م، ص 50-54.

18- إبراهيم وجيه محمود. الفروق الفردية في القدرات العقلية، طرابلس، منشورات الجامعة الليبية، 1985م، ص 163-165.

19- شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني، عمان، دار المسيرة، ط1، 2004م، ص 192.

20- كمال إبراهيم مرسي. البيئة والوراثة وأثرها في الانحرافات النفسية والسلوكية، القاهرة، مكتبة الأنجلو

المصرية، ط4، 2000م، ص 223-252.
21- قاسم صالح، وعلي الطارق، الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية من منظوراتها النفسية والإسلامية، صنعاء، دار الجيل الجديد، 1998م.
22- رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج6، ص 128، حديث رقم (5734) وصححه الألباني.
23- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة، ج1، ص 251، حديث رقم (314).
24- عبد الحميد الزنتاني. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص 157.
25- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، ج7، ص 3.
26- محمود عطا عقل، النمو الإنساني، الطفولة والمراهقة، الرياض، السعودية، دار الخريجي، ط5، 1418هـ، ص 131.
27- محمد عز الدين توفيق. دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث، القاهرة، دار السلام، 1998م، ص 22.
28- أحمد الدغشي. الأساس الفطري للتربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، إربد، الأردن، 1995م، ص 12
29- رواه ابن ماجة. سنن ابن ماجة، ج1، ص633، حديث 1970. والدساس: أي دخال لأنه ينزع في خفاء ولطف. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص 82.
30 - شادية التل. الشخصية من منظور نفسي إسلامي، اربد، دار الكتاب، 2006م، ص 124.
31- عبد الله السعيد. من الاعجاز الطبي في الأحاديث الشريفة، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، ط1، 1989م، ص 19.
32- محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دمشق، سوريا، دار المكتبي، ط3، 2005م، ص 151.
33- سيد قطب. في ظلال القران، جدة، دار الشروق، ط25، 1996م، ج1، ص 391.
34- رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج5، ص 275، حديث رقم (5313)، وصححه الألباني
35- رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج4، ص 195، حديث رقم (7343)، وضعفه الألباني.
36- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، ج3، ص 1063، حديث رقم (2743).
37- الالباني ، مصدر سابق .
38- سيد الطواب. النمو الإنساني أسسه وتطبيقاته، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص 116.
39- ابراهيم موسى ، مصدر سابق ، 2000 م .
40- إحسان المحاسنة. البيئة والصحة العامة، عمان، الأردن، دار الشروق، ط2، 1994م، ص 135.
41 - علوان ، 1993 م ، مصدر سابق .
42- السيد عبدالرحمن ، 2000 م ، مصدر سابق .
43- شادية التل ، 2005 م ، مصدر سابق .
44- رواه مسلم. صحيح مسلم، ج4، ص 2026، حديث رقم (2628).